الاستشراق واستعلاء الغرب

بقلم : د. أحمد أبو زيد

حين زار الروائى الفرنسى الشهير جوستاف فلوبير مصر عام ١٨٥٠ التقى براقصة شهيرة تدعى كوجول هانم . وسجل انطباعاته عن التقائه بها فى عدد من الرسائل التى كان يرسلها إلى أصدقائه فى فرنسا وكذلك فى بعض أعماله الأدبية الأخرى وبخاصة فى روايته (سالامبو) .

وفى كل هذه الأعمال ظهرت ، كوجول هانم الراقصة على أنها خير مثال للمرأة الشرقية ، سواء من ناحية التكوين الجسمى أو السلوك المتحرر أو الوضع الذى تحتله المرأة فى المجتمع الشرقى أو نظرة الرجل إلى المرأة فى ذلك الحين . وقد يكون فيما ذكره فلوبير حول هذا الموضوع شىء من الإجحاف بالمرأة الشرقية ومكانتها فى المجتمع المصرى الإسلامى . ولكن فلوبير كان أديبا روائيا ولم يكن عالما من علماء الاجتماع ولذا فإن الصورة التى قدمها فى رسائله وفى روايته لم تكن دراسة علمية دقيقة وإنما كانت عملا أدبيا يعبر فيه صاحبه الأديب الروائى الفنان عن نظرته الخاصة وعن انطباعاته الشخصية وعن تصوراته وتخيلاته بل وأوهامه عن المرأة فى الشرق .

● وقد يكون لفلوبير وغيره من الأدباء والمبدعين عذر فيما قد يذهبون إليه من تصورات وتخيلات تختلف عن واقع الأوضاع والعلاقات العامة والاجتماعية التي تسود في المجتمعات والثقافات الأخرى غير المجتمع الذى ينتمون هم إليه، فالابداع الأدبى أو الفنى هو مزيج من الواقع والخيال وليس وصفا علميا دقيقا يلتزم بالحياد والموضوعية فى تسجيل الحقيقة الواقعية وتحليلها وعرضها فى دقة وأمانة . ولكن كثيرا مما كتبه العلماء والباحثون الغربيون الذين نطلق عليهم اسم (المستشرقين) لاتكاد ترتفع فى نظرتها الى الشرق عن نظرة فلوبير . وجانب كبير من تلك الكتابات أو (الدراسات) التى تركها لنا هؤلاء المستشرقون - وبوجه خاص الأعمال التى تتناول اوضاع المجتمع الشرقى ونظمه والعلاقات بين الناس والقيم التى تحكم سلوكهم وتصرفاتهم - فيها

جوستاف فلوبير



كثير من التجنى وتبتعد عن الحيدة والموضوعية وتمتلىء بصور وتفسيرات وتاويلات غير صحيحة أو خاطئة وتعكس فى عمومها تصورات هؤلاء (الباحثين) وتخيلاتهم وأوهامهم عن الشرق اكثر مما تسجل واقع ذلك الشرق وحقيقته . وبعض هذه الكتابات الاستشراقية تصور الشرقيين عموما - بما فى ذلك العرب والمصريين - على انهم أقوام متبلدون وليست لهم القدرة على العمل ، أو حتى الرغبة فى ادائه ، وأنهم عاجزون عن الأخذ بزمام المبادرة والمبادأة فى أى شىء وتنقصهم القدرة على التفكير المستقل وعن التعبير الصريح المستقيم المباشر عما يدور فى أذهانهم ، بل انهم لايكادون يدركون مصالحهم الحقيقية وأين تقع هذه المصالح وكيف يحصلون عليها أو يحققونها ، بل إن الغربيين هم الذين يفكرون (لهم) وبالنيابة عنهم وهم الذين يعرفون أين تكون تلك المصالح وكيف يحققونها لهم بطريقة افضل وادق وأكثر فاعلية ، وفى هذا مبرر كاف لإخضاع هذه المجتمعات الشرقية واستعمارها من أجل صالح تلك الشعوب

● مستشرقون شرفاء

وقد يكون من التعسف أن نتهم كل المستشرقين بالتحامل على الشرق وحضاراته وشعوبه أو أن ندخل كل الأعمال الاستشراقية فى فئة واحدة . فبعض هذه الأعمال والكتابات - وبخاصة تلك التى تتناول التراث

القديم من فلسفة وتصوف وادب وعلوم - بحوث أكاديمية دقيقة وعلى جانب كبير جدا من الموضوعية ، بل إنها هي التي وضعت الأسس المنهجية السليمة لدراسة هذه الشعوب وانجازاتها بوجه عام ، واسهامات الحضارة العربية الاسلامية بوجه خاص بما في ذلك الحضارة المصرية ذاتها . وهذا أمر طبيعي نظرا لاختلاف وتباين وتعدد الاهتمامات بالشرق والمجتمعات والحضارة الشرقية في القرن التاسع عشر على الخصوص .. وكما يقول فيكتور هيجو في ذلك فإن الولع بالدراسات الهلينية الذي بلغ بالناس حد الهوس في عصر لويس الرابع عشر انتقل في القرن التاسع عشر الى الدراسات الشرقية ، بحيث أصابت حمى هذه الدراسات الكثيرين من الكتاب والعلماء والادباء والفنانين . ونحن نعرف أن هيجو نفسه ترك مجموعة من القصائد الرائعة بعنوان (الشرقيات) كان قد استوحاها من أحداث الصراع اليوناني التركي الدامية ومن جمال وروعة الطبيعة في الشرق الأدنى والشرق الاوسط .. كذلك ترك الكثيرون غيره من الكتاب والشعراء والفنانين أعمالا خالدة عن السياحة ، وربما كان كتاب شاعر ألمانيا العظيم جوته (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) الذي نقله الى العربية منذ سنوات الدكتور عبدالرحمن بدوي من أشهر هذه الأعمال . ولكن قائمة هؤلاء الكتاب المولعين بالشرق من أدباء وشعراء وفنانين قائمة طويلة وتضم أسماء لاحقة وخالدة من أمثال لامارتين وجيرار دي نرفال وجوتيه الى جانب جوستاف فلوبير من فرنسا ، ودزرائيلي من انجلترا . كما تشتمل على عدد من الرحالة المشهورين من أمثال داوتي وبيبرلوتي ، فضلا عن عدد من كبار الروائيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل البريطاني فورستر الذي سجل جانبا من أحداث حياته ومشاهداته وتجربته الخاصة في الهند في روايته الشهيرة التي تحولت الى فيلم سينمائي (ممر الى الهند) كما ترك جزءا من تجربته في مصر أيام الحرب العالمية الأولى في كتابه الطريف الذي لايعرفه الكثيرون عن

مدينة الاسكندرية وكذلك في رسائله التي نشرت منذ أربعة أعوام . وبعض هؤلاء الكتاب كانوا يجمعون بين أكثر من اهتمام بالشرق . فادوارد ويليام لين العالم الرحالة الفنان يترك كتابا ممتازا عن أخلاق المصريين المحدثين وعوائدهم ، وقد نقله منذ سنوات طويلة الى العربية المرحوم الاستاذ عدلي طاهر نور في ترجمة دقيقة ومشرقة . كذلك ترك العالم المكتشف الرحالة ريتشارد بيرتون ترجمة طيبة بالانجليزية لكتاب الف ليلة وليلة وهكذا . وهذا كله يكشف لنا عن مدى اختلاف وتباين اهتمامات هؤلاء الكتاب وتعدد هذه الاهتمامات وتنوعها ، وإن كانت كلها تصب في آخر الامر في عالم الشرق الذي كان يبدو لهم غريبا وغامضا والذي كان يجذبهم اليه بهذا الغموض الساحر الغريب .

وبالمثل فإن قائمة أسماء المستشرقين العلماء الاكاديميين طويلة جدا وتتناول كثيرا من أبواب المعرفة وتكشف لنا أعمالهم عن مدى الجهد والاخلاص والموضوعية التى تميز مواقفهم ونظرتهم الى الشرق وانجازاته العلمية والثقافية كما تبين هذه الأعمال مدى صدقهم فى محاولة الوصول الى فهم صحيح وموضوعى لتلك الانجازات . وقد يكفى أن نحيل القارىء هنا الى كتاب (تراث الاسلام) سواء فى طبعته القديمة أو فى الطبعة الجديدة أو على الأصح الاصدار الجديد تماما فكلا الكتابين يضم قائمة من أسماء المستشرقين الذين توفروا على كتابة الفصول المختلفة . ولكن قائمة المستشرقين الاكاديميين أطول من هذا بكثير جدا .

ومع ذلك فإن كل أعمال وكتابات المستشرقين والمهتمين بالشرق على اختلاف طبقاتهم وتخصصاتهم وميولهم واهوائهم إنما تصدر عن موقف معين ووجهة نظر محددة وثابتة يشتركون فيها جميعا ، الا وهي شعورهم القوى بالتعارض الشديد بين الشرق والغرب . ولقد عبر عن ذلك التعارض بطريقة واضحة وقاطعة الشاعر البريطانى رويارد كبلنج الذى تغنى ربما اكثر من غيره فى قصائد بمفاخر الاستعمار البريطانى وأمجاد الجنود البريطانيين الهند وبورما .

دراسة الشرق

فليس الاستشراق إذن هو مجرد دراسة العلماء الغربيين للحضارات الشرقية ، وإنجازاتها فى مختلف مجالات العلم والمعرفة ، أو حتى دراسة المجتمعات والثقافات والشعوب الشرقية القائمة الآن بالفعل . إنما الاستشراق هو قبل كل شيء أسلوب غربى لفهم الشرق ، او هو موقف عقلى محدد من الشرق ونظرة ثابتة وراسخة تقوم على إدراك ذلك التعارض بين الشرق والغرب الذى تعبر عنه بدقة وصراحة عبارة كبلنج الشهيرة . ويكشف هذا الموقف الغربى من الشرق عن نفسه بدرجات متفاوتة فى أعمال المستشرقين ، فهى كلها تقوم على اعتقاد الغربيين بالاختلاف والتمايز ، حتى التباين بين الشرق والغرب فى النظرة الى الحياة والكون وفى اسلوب معالجة الأمور وفى القيم التى تحكم السلوك وفى التكوين العقلى وفى الموقف من المستقبل . وقد أدى ذلك الى احساس الغرب بالاستعلاء الى الحد الذى رأى فيه امكان جعل الشرق موضوعا لدراسته مثلما أخضعه لحكمه وسيطرته .

والأمر هنا يشبه الى حد كبير الوضع بالنسبة لعلم آخر حديث نسبيا وهو الأنثروبولوجيا (علم الانسان) فى بداية ظهوره فى القرن التاسع عشر . فقد كان علماء الانثروبولوجيا فى ذلك الحين يشعرون كما يبدو من كتاباتهم باستعلاء ازاء الشعوب والجماعات والقبائل التى تعيش فى المستعمرات الافريقية والتى كانت تؤلف موضوع دراساتهم ، وقد أطلقوا على تلك الشعوب فى ذلك الحين اسم الشعوب البدائية ، ولا تزال هذه التسمية مستخدمة حتى الآن رغم الاعتراف بخطئها وما تحمله من أبعاد لم يعد العلماء أنفسهم يؤمنون بها . ومثلما ظهرت فكرة المجتمع (البدائى) فى انثروبولوجيا القرن التاسع عشر ظهرت

فكرة المجتمع (الشرقى) كمفهوم لا يرتبط فقط بتلك المنطقة من الأرض التى تعرف باسم الشرق وانما يرتبط فى المحل الأول بتصورات معينة عن أسلوب خاص للحياة والتفكير لا يمكن فهمه الا عن طريق مقابلته ومقارنته بأسلوب الحياة والتفكير الغربى . وكان من الطبيعى أن يعكف الغرب متمثلا فى المستشرقين - بالمعنى الواسع للكلمة - على دراسة هذا الشرق فى ضوء الأوضاع والمفاهيم والافكار والقيم الغربية وأن يتخذ منها مقياسا ومعيارا يحكم به على انجازات واسهامات الشعوب والحضارات الشرقية التى يدرسها هؤلاء المستشرقون ، تماما كما حدث فى الانثروبولوجيا فى ذلك الحين .

وعبارة كبلنج الشهيرة تعبير صادق كما ذكرنا عن الفلسفة التى كانت تسود فى القرن التاسع عشر كله ، والتى كانت تقوم على تصنيف البشر والحضارات والمجتمعات وكل الكائنات تبعا لتصور عقلى عن مراحل التطور التى مر بها العالم . وكان هذا يضع الانسان الغربى والحضارة الغربية فى أعلى درجات السلم المتطور ثم تعيش بقية البشر والحضارات الاخرى الى الانسان الغربى وحضارته تبعا لدرجة الشبه . وليست نظرية التطور التى وضعها داروين الا نتاجا فى آخر الامر لهذه الفلسفة الصادرة من الشعور بالاستعلاء .. استعلاء البشر على بقية الكائنات ، واستعلاء الانسان الغربى على بقية البشر ، واستعلاء الحضارة الغربية على كل الحضارات الأخرى . فهذه الفلسفة اذن هى نقطة الانطلاق فى قيام الاستشراق الذى هو فى جوهره موقف عقلى يقوم على الشعور بالتسامى والاستعلاء من الرجل الأبيض إزاء شعوب الشرق وحضاراته وإنجازاته . ومما له مغزى فى هذا الصدد مايذكره ادوارد سعيد فى كتابه القيم عن الاستشراق من انه أثناء الحكم البريطانى الاستعمارى للهند كان رجال الادارة من البريطانيين الذين يعملون هناك يتقاعدون فى سن مبكرة نسبيا وهم فى أتم صحتهم وعافيتهم حتى لا تتاح للهنود الوطنيين الفرصة لرؤية الجنس الأرقى فى حالة الشيخوخة والضعف والعجز والمرض فتهتز صورة الرجل الأوربى فى أعينهم ويفقد بالتالى تميزه عليهم . وقد تبدو هذه المسألة بعيدة لأول وهلة عن حركة الاستشراق والمستشرقين . ولكن المبدأ واحد ، وهو مبدأ سيادة واستعلاء الغرب على الشرق .

وعلى الرغم من شيوع كلمة الاستشراق وكثرة ما كتب عن المستشرقين فلا يزال من الصعب وضع تعريف دقيق ومحكم للاستشراق والمعرفة الاستشراقية . ويرجع ذلك الى حد كبير الى تباين الاهتمامات وتعددها كما سبق ان ذكرنا ، فهى كتابات تتراوح ما بين الدراسات العلمية الاكاديمية الموضوعية الى الأعمال الخيالية أو التى تعتمد على الانطباعات الشخصية التى كثيرا ما تكون خاطئة . وحتى لو استبعدنا كتب الرحالة والفنانين والروائيين ومن اليهم وقصرنا الأمر على الأعمال العلمية الاكاديمية الرصينة وحدها فسوف نجد أن مجال الاستشراق لايزال واسعا فضفاضا ومتعدد الجوانب . ولقد كان اغلب

المستشرقين – بهذا المعنى الضيق والدقيق للكلمة – يهتمون أساسا باللغات والآداب الشرقية وبالتراث الشرقى . ثم امتد هذا الاهتمام الى كل مجالات الحياة والفكر وقدموا فى ذلك خدمات جليلة بغير شك ليس فقط فى مجال البحث والتنقيب والنشر والدراسة والتحليل ولكن أيضا ، وربما كان هذا هو الأم فى وضع الأسس المنهجية لدراسة كل ذلك الكم الهائل من الأعمال التراثية فى مختلف فروع المعرفة فالعلم منهج قبل اى شىء .

وسواء أكانت الدوافع وراء ذلك الاهتمام بالشرق دوافع علمية بحتة أو دوافع سياسية واقتصادية فإن حركة الاستشراق على العموم ارتبطت ارتباطا قويا وبخاصة فى القرن التاسع عشر بالغزو الاستعمارى والرغبة فى أخضاع الشرق لنفوذ الغرب . ودزرائيلى نفسه يقول فى إحدى رواياته أن الشرق (مهنة) لأنه كان يفتح أمام الشبان البريطانيين مجالات واسعة للعمل هناك . والواقع أن الشرق كان لفترات طويلة جدا ترجع الى الحروب الصليبية على اقل تقدير وحتى الآن موضوعا للتساؤل والبحث والدراسة ومحاولة فهمه والاقتراب منه وإن كانت بعض هذه المحاولات تعانى من النقص والعجز والوهم والاختلاق والزيف . وقد كانت اعمال المستشرقين فى كثير من الاحيان تمهد الطريق لبسط نفوذ الحكم الاستعمارى على الشرق وتقديم المعلومات الدقيقة التى تساعد على توطيد الحكم تماما كما كان الحال بالنسبة لبعض علماء الانثروبولوجيا وبعض الدراسات الانثربولوجية المبكرة التى كانت تساعد على فهم الشعوب (البدائية) توطئة لارساء قواعد الاستعمار . وعدد كبير من المستشرقين ارتبطوا صراحة بأجهزة المخابرات فى بلادهم وكانوا أدوات وعملاء لها ، بل إن بعض مشاهير المستشرقين تولوا مناصب ادارية فى الدول الشرقية أيام خضوعها للاستعمار أو النفوذ الغربى . وثمة اسماء كثيرة معروفة للقارىء المصرى فى هذا المجال مثل لورانس وفيلبى : ولكن هناك اسماء أخرى قد تكون اقل شهرة ارتبط اصحابها ارتباطا وثيقا بوزارة المستعمرات البريطانية مثلا او أجهزة المخابرات فيها . ومن أشهر الأمثلة على ذلك العالم البريطانى فى ادوارد هنرى بالمر الذى لعب دورا مهما فى تهدئة مشاعر القبائل فى سينا أيام الثورةالعرابية ولقى مصرعه أثناء ذلك . ومنهم المستشرق البريطانى هو جارت الذى تولى رئاسة (المكتب العربى) فى القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى والذى قام بدور كبير فى الاتصال بالقبائل فى شبه الجزيرة العربية قبل ذلك . كذلك انخرط عدد كبير من كبار المستشرقين فى سلك الجاسوسية أثناء الحرب العالمية الثانية واصبحوا عملاء للمخابرات البريطانية فى البلاد العربية . وما يصدق على بريطانيا والمستشرقين البريطانيين يصدق على كثيرين غيرهم

● أهداف استعمارية ! ●

وكل هذا معناه أن حركة الاستشراق لم تكن بريئة تماما من الأهداف السياسية الاستعمارية ، وأن الكثيرين من المستشرقين كانوا يسخرون جهودهم بشكل أو بآخر لخدمة المصالح الاستعمارية ، وأنهم أساءوا بذلك استغلال علاقاتهم الوطيدة بالشعوب

والجماعات التى يدرسونها ، ولكن من الانصاف فى الوقت ذاته أن نعترف بأن ما نعتبره نحن جاسوسية لأنه فى غير صالحنا قد تراه شعوب أخرى عملاً من أعمال الوطنية لأنه يخدم مصالحها وأهدافها وأن المستشرقين الذين وضعوا علمهم وكفاءاتهم فى خدمة أجهزة المخابرات فى بلادهم كانوا يعتقدون أنهم يقومون بعمل وطنى شريف . وأيا ما يكون اعتقادهم فى ذلك فإن هذا لايعفيهم أبدا من تهمة الخروج على معايير الاخلاقيات العلمية وأنهم تنكروا لمبادىء البحث العلمى وأهدافه مما يلقى ظلالا سوداء كثيفة على الاستشراق ككل رغم كل ما قدمه من إنجازات علمية لايمكن التشكيك فى اهميتها .. والامر كله يكشف فى النهاية بوضوح عن ذلك المبدأ الذى يحكم حركة الاستشراق كلها وهو مبدأ التباين والاختلاف الذى يصل الى حد المواجهة بين الغرب المتسلط والشرق الذى اتخذ الغرب منه موضوعا للدراسة والبحث ، وهذا هو الذى يجعل الكثيرين ينظرون الى الاستشراق على أنه علم استعمارى أو نوع من (المعرفة الاستعمارية) .

وليست المشكلة فى اعتناق المستشرقين - أو بعضهم - لمثل هذه المواقف او التعبير عنها فى كتاباتهم . ولكن المشكلة الحقيقية هى فى قبول بعض الشرقيين - بما فى ذلك بعض العلماء العرب والمصريين - لتلك الاراء والافكار بغير مناقشة بل واعتناقهم لتلك المواقف والتحمس لها والدفاع عنها فى قوة وحرارة على الرغم من انهم لا يكادون يرون فى واقع الحياة العربية والاسلامية مايعززها . ولاتلبث هذه الافكار أن تترسب وترسخ فى عقولهم ووجدانهم بحيث ينظرون الى مجتمعهم وثقافتهم وحياتهم وتراثهم من خلال أفكار هؤلاء المستشرقين ثم يرون فى آخر الامر ليس على ماهم عليه فى الحقيقة والواقع وإنما على ما أراد لهم المستشرقون أن يتصوروه . وهذه ناحية خطيرة قلما ننتبه اليها فى الدراسات التى نتناول فيها مسائل تتعلق بحياتنا أو ثقافتنا أو تراثنا ، والتى نعتمد فيها رغم ذلك على كتابات المستشرقين فى تلك الموضوعات بدلا من أن نقوم نحن انفسنا بها من منطلق مصرى عربى اسلامى وننظر اليها بعيون مصرية ونحللها من موقف مصرى وفى ضوء القيم المصرية الأصيلة القديمة العريقة التى تمتد جذورها الى الثقافات المصرية القديمة والقبطية والاسلامية ، ولا يكاد يسلم من هذه التبعية الفكرية الا القلائل ، ففى هذه التبعية الفكرية تكمن الخطورة الحقيقية للاستشراق ولقراءة المستشرقين لتراثنا وقيمنا وتأويلهم لذلك التراث وتلك القيم من زاوية خاصة تخدم بغير شك أهدافا تتلاءم مع مصالح الثقافات التى ينتمون اليها أو على الأقل تعبر عن المبادىء التى تقوم عليها تلك الثقافات .

ولقد أفلحت حركة الاستشراق - بالمعنى الواسع للكلمة - والذى يضم أعمال العلماء وكتابات الرحالة والمبشرين والروائيين والادباء ورجال الادارة من الغربيين أيام الاستعمار فى غرس الشعور بالدونية فى نفوس الكثيرين بحيث انهم لم يعودوا يكتفون باتباع المناهج التى

وضعها المستشرقون للدراسة والبحث ، وإنما أصبحوا أسرى لأفكارهم ونظرياتهم وتقييمهم للأمور ، بل أن المسألة أصبحت تتعدى ذلك الى واقع الحياة اليومية ذاتها . ومن الخطأ أن نقنع بتوجيه اللوم والنقد الى المستشرقين الذين خرجوا على مبادىء الحياة الاكاديمية وجعلوا أنفسهم وجهودهم وعلمهم أداة فى خدمة الاستعمار وأجهزة المخابرات فى بلادهم . وقد يكون من الخير بدلا من هذا كله أن نتساءل عن الاسباب التى جعلت هؤلاء المستشرقين يصلون الى هذه الدرجة من العلم التى أمكن لهم معها أن يفرضوا علينا أفكارهم وآراءهم ووجهات نظرهم . فقد يكون فى الاجابة على هذا التساؤل مايدفعنا الى دراسة أوضاعنا وثقافتنا وتراثنا بفكر جديد مفتوح وبعقلية مستقلة ومتحررة من قيود الفكر الغربى وأغلاله .

ولسنا ننكر الجهود التى يقوم بها كثير من العلماء المصريين والعرب والمسلمين فى دراسة مقومات المجتمع القومى والعمل على العودة الى التراث الاصيل والى الجذور القديمة المتمثلة فى الآداب والفلسفات واصول الحكمة والقيم والتقليد وهى دراسات ، تختلف بغير شك عن تلك التى يقوم بها المستشرقون من حيث إنها دراسات ، تتم (من الداخل) .. وذلك على أساس أن علماءنا هم جزء من تلك الثقافة التى يدرسونها وأن مقومات هذه الثقافة تدخل فى تكوينهم العقلى والوجدانى ، وهم بذلك يمتلكون (الحس) بهذه الثقافات والحضارات والتراث القديم ، وهو حس يساعد بغير شك على الوصول الى فهم أعمق وأدق وأكثر صدقا مما يستطيعه الباحث الغريب وقد أخذ بعض علمائنا يزاحمون بذلك المستشرقين فى دراساتهم وبحوثهم ويقفون منهم موقف التحدى القائم على الفهم الصحيح وهذا التحدى يفرض على تلك القلة من العلماء الذين افلحوا فى التخلص من التبعية العلمية والفكرية للاستشراق والمستشرقين أن يعملوا على تطوير بحوثهم ودراساتهم وأن يوجهوها الى مسارات جديدة بحيث تحقق أهدافا جديدة لم يكن المستشرقون يهتمون بها . فلقد كان الاستشراق يهتم مثلا بإبراز الخصوصيات ، الضيقة التى تميز الفكر الشرقى ـ سواء أكان ذلك هو الفكر المصرى أو العربى أو الاسلامى أو الهندى أو غير ذلك ـ ويدرسها من زاوية الفكر الغربى لتوكيد تلك الهوة الواسعة السحيقة التى تجعل الشرق شرقا والغرب غربا وأن لا سبيل الى التقائهما فى هذه الحدود ، وأن الفكر الشرقى رغم كل مايمكن أن يقال فيه هو فى آخر الامر أقل تطورا ونضجا وأكثر تخلفا من الفكر الغربى ، وأنه فكر محلى يعجز عن أن يخاطب الانسانية ككل . وهذه قضية ينبغى على علمائنا ومفكرينا وكتابنا التصدى لها بحيث يعملون على الكشف عن الاسس العامة للفكر الانسانى كما تتمثل فى حضارتنا ، **وأن هذه الحضارة تخاطب الانسانية ككل ، وإن كانت فى خطابها تنطلق من موقف يختلف بالضرورة عن موقف الحضارة الغربية وانه إذا كانت الحضارة المصرية بكل ابعادها قد أعطت للعالم من قبل فإنها قادرة على أن تعطى فى المستقبل وطيلة الوقت عطاء كثيرا وعميقا يعبر عن روح مصر وتاريخها الطويل .**